- محاولات التوسع في صقلية - هيمير2)Himère:)

لم تكن قرطاج من القوة بحيث تستطيع أن تمنع استعمار اليونان لصقلية. واقتصرت على الانتصاب في القسم الغربي من الجزيرة بما فيه مدينة "بالرمو")بانورم(و"سولنت" كستلودي سولانتو شرقي بالرمووموتيه)في جزيرة سان سنتليو بالقرب من سواحل ليليبي (ولكنها ما كان يمكنها أن تبقى مكتوفة الأيدي أمام زحف منافسيها الناشطين. وكان الطاغية "جيلون" الذي استولى على "سرقوسة")سنة ٤٨٥ (وجعل منها أغنى (" مدينة في العالم الهيليني، يعتمد على تحالفه مع مدينة "أقريجنتيAgrigente) التي أخضع طاغيتها "تيبرون" البلدان الواقعة بين بحر ليبيا وبحر التيرهني وبذلك تكونت جبهة يونانية شديدة على الفينيقيين سياسيا وخاصة اقتصاديا.

ويظهر أن الأزمة اشتدت شيئا فشيئا في طي الخاء طيلة سنوات عديدة قبل أن تؤول إلى الغزوة القرطاجية العظمى سنة ٤٨٠ . فقد نزل الجيش "ببانورما" ومنها إلى (هيمير حيث محقته قوى الطاغيتين المتحدة. فدفعت قرطاج ٢٠٠٠ وزنة أوبيةTalents) غرامة ثم رجعت من حيث أتت هي وحلفائها من "ريجيون" و"سيلنونت". ويقال إن معركة هيمير التي تحطمت فيها المطامح الفينيقية جرت في نفس اليوم الذي وقعت فيه معركة "سلامين" التي وضعت حدا لزحف الفرس. وتسرع المؤرخون فافترضوا أن القرطاجيين والفرس كانوا متحدين ضد اليونان. وأقرب الظن أن ذلك كان محض صدفة.

٣ - أوائل التوغل الإفريقي:

يظهر أن ما اكتشف من آثار القبور بعد هذه النكبة يدل على أن قرطاج اضطرت إلى وضع حد لهيمنتها البحرية والانطواء على نفسها. وفعلا كانت مرسيليا حائلا دون موانى بلاد "غوليا" و"اسبانيا"، وكانت كورسيكا تابعة لحلفائها الاتروريين. أما صقلية فقد كان معظمها خارجا عن نفوذها. فلعلها وجهت جهودها نحو الأرض الإفريقية. ذلك أنها أخذت في النصف الثاني من القرن الخامس تغزو على حساب الليبيين جهات اقتطعت فيها طبقتها الارستقراطية أراضي فلاحية، كما أخذت تجند المرتزقة. إلا أن

توسعها العنيف أثار ردود فعل شديدة فقد والى البربر في القرن التالي ثوراتهم وعبروا إزاء البونيقيين عن تعلقهم بالاستقلال الذي اصطدم به جميع الغزاة.

وكان توسع قرطاج منذ أواسط القرن السادس من عمل الماغونيين بالخصوص وتوصلت الطبقة الارستقراطية -التي تهتم بما توره التجارة من أرباح أكثر من اهتمامها بالانتصارات الحربية- إلى التخلص منهم بعد أن خضعت لنفوذهم طيلة قرن كامل)حوالي ٤٥٠ (. إلا أنها مكنتهم سنة ٤٠٩ من الرجوع إلى سياستهم التوسعية في صقلية. ولكن لم يكن لقوادهم الجرأة الكافية ولم يكونوا جادين في الغزو، فلم يستغلوا انتصاراتهم الكبرى ورضوا بمعاهدات صلح توطد استعمارهم.

٤ - انتصار دونيس صاحب سرقوسة:

واستغل حفيد المهزوم سنة ٤٨٠ خصومات المدن اليونانية فاستباح سيلينونت وهيمير) ٤٠٩ (ثم أقريجنتي) ٤٠٦ (. فثارت سرقوسة على أرستقراطيتها العاجزة واتخذت زعيما أوحد من أصل متواضع وهو دونيس الذي سعى إلى تطعيم القوى الهيلنية الواهية بما لأهل سيكول ورعاع الايطاليين من طاقات جديدة. ولم يقهر البونيقيين تماما إلا بعد أربعة حروب. فقد انهزم أول الأمر في وقائع كثيرة واضطر أمام عنف هجومات البونيقيين الشديدة إلى التخلي عن مدينتي جيلة وكمارين، وإلى منح ليونتيني ومسينا استقلالهما)سنة ٤٠٩ (ثم حصن سرقوسة وأعاد الكرة سنة ٤٠٨ وانتقم من مدينة "موتية" أفظع انتقام.

فحولت قرطاج عاصمة ممتلكاتها الصقلية إلى ليليبي)مرسالة(وشنت بجيوشها الجرارة حربا انتقامية. فاستولت على مسينا وكادت تفتح سرقوسة، ولكن الطاعون نال من جيوشها. وكلل أحد هجومات دونيس المعاكسة بالنجاح فاضطرت إلى دفع ٣٠٠ وزنة أوبية غرامة وإلى التخلي عن سيلينونت وهيمير وتسليم مرتزقتها الليبيين أو الإسبانيين للفتك أو الاستعباد) سنة ٣٩٦ (. ولكن الحرب ما لبثت أن اشتعلت نيرانها من جديد فاستمرت حتى موت الطاغية تتخللها فترات هدنة متفاوتة الطول.

٥ - أغاثوكل وحرب افريقية:

اغتنمت قرطاج ما تبع موت دونيس) ٣٦٧ (من خصومات لأجل الحكم ومن تصدع إمبراطورية سرقوسة لاسترجاع "أقريجنتي" و"جيله" إلا أنها تقهقرت من جديد إلى ما - وراء حاليقوس) ٣٤٥340) (Halycosعندما هاجمها تموليون الكورينتي الذي استعان) بعناصر جديدة من بين المستوطنين اليونانيين وأحجمت عن الهجوم على صقلية من جديد بعدما رأت ما رأت من سقوط صور على يد الإسكندر) ٣٣٢ (الذي أصبحت تخشى هجومه على افريقية ولكن أحد قوادها لم يتمالك عن التدخل في خصومات الأحزاب التي كانت تتنازع سرقوسة فدفع بابن أحد العمال إلى الحكم وكان جاهلا ولكنه ذو حزم .) وعزم اسمه أغاثوكل)سنة ٣١٧

ولم ترض الارستقراطية القرطاجية عن الإعانة التي منحت إلى هذا القائد المنحدر من الشعب والذي بادر منذ توليه الحكم بإعدام الأقلية الحاكمة وفسخ جميع الديون وتوزيع الأراضي)سنة ٣١٤ (فهاجمته بأساطيلها وجيوشها انتصرت عليه وحاصرت سرقوسة. ولكن أغاثوكل لم يكن بالرجل الذي تفت في عزيمته الهزيمة. فلما انهزم في صقلية حاول خداع أعدائه وتجرأ على محاربتهم في ديارهم.

فقد تخلص من الحصار وتمكن من النزول في جنوب الوطن القبلي على رأس ١٤٠٠٠ من رجاله)سنة ٣١٠ (ثم صرف أسطوله واستولى على ٢٠٠ بلدة منها حضرموت)سوسة(حسبما يروى. ولكن قرطاج لم تتأثر بما قام به من غزوات طيلة عام كامل، إذ كانت بأسوارها وبتزودها عن طريق البحر في مأمن من خطر الحصار. وعندئذ أغرى أغاثوكل أوفيلاس المقدوني الذي أسس في قريني إمارة مستقلة عن ملك مصر ووعده بأن يمكنه من أن يكون على رأس إمبراطورية افريقية أرسل إليه المرتزقة من اليونان. وسرعان ما تخلص أغاثوكل منه وأفسد عليه جنوده. وتمكن من مضاعفة عدد جنوده ومن الاستيلاء على أوتيكة وهيبودياريتوس)بنزرت(واحتلال كامل تراب القرطاجي. وأسس دور صناعية .)٣٠٩ - ليربط الصلة بصقلية) ٣٠٨

ثم إنه أدرك أن لا مخرج له من هذا الغزو فعدل عن إرهاب قرطاج والتحقق بصقلية ثم اضطر بعد سنة إلى العودة وحاول بدون جدوى تفادي الكوارث التي عقبت رحيله.

ثم آل به الأمر إلى التخلي عن جنوده والهروب بمفرده كما فعل بعده بونبارت في مصر. ففتك جيشه بأبنائه وباع لقرطاج الأراضي المحتلة.

إن فعلته الجريئة التي يبدو أنها ختمت بالانهيار لم تخل من عواقب. وأنه لم يحرص على الاستيلاء على قرطاج بل أراد أن تكون له اليد الطولي في صقلية. فقد رضي البونيقيون بإبرام معاهدة صلح معه ودفعوا له غرامة قدرها ١٥٠ وزنة أوبية و ١٠٠.٠٠٠ هكتوليتر من القمح وملكوه على القسم الشرقي من الجزيرة كما أعادوا له حدود حاليقوس)سنة ٣٠٦ (ومات أغاثوكل قبل أن يحقق ما كان يعتزمه من احتلال لافريقية ( )سنة ٢٨٩ (غير أنه فتح الطريق لأعداء قرطاج وسوف لا ينسى ريقولوسRegulusولا) شيبيون الإفريقي هذه السابقة.

٦ - بيروس وهيرون صاحب سرقوسة:

واغتنم البونيقيون فرصة الحروب المدنية التي تبعت موت أغاثوكل للتدخل من جديد في صقلية فحرروا المدن المحتلة وأرجعوا سرقوسة إلى حدودها الأصلية. أما المامرتانيون أي المرتزقة الايطاليون فلم يرجعوا إلى "كمبانيا" بعد أن اضطروا إلى الجلاء عن سرقوسة وتمكنوا من الاستيلاء على مسينا، ومنها قاموا بهجوماتهم حتى صقلية الغربية.

لقد كانت قرطاج تؤمل فتح جزيرة صقلية كلها. فبينما كان المغامر الجريء إيبيروس (ملك إبيرEpireيحارب في ايطاليا أمضت اتفاقية مع رومة نعترف لها فيها بسيطرتها) (على صقلية. وبينما كانت تحاصر سرقوسة استنجد القواد المحاصرون ببيروسPyrihos) فتخلى الملك " ايير" عن عدد من الممتلكات البونيقية في ليليبي وفكر في نقل الحرب إلى افريقية نفسها ولكنه مني بهزيمة عسكرية، واصطدم بثورات الصقليين، فخاب ظنه ورجع إلى ايطاليا)ربيع ٢٧٥ (. فما لبثت قرطاج أن بسطت نفوذها من جديد على غربي الجزيرة واستغلت قلاقل سرقوسة الداخلية والأزمات الواقعة بين أهل سرقوسة (والمامرتيين، فأقامت ثغورا على طول سواحل صور واحتلت جزر ليباريLipariوالجزر) (الإيوليةEoliennesثم تقدمت إلى ميلس ومسينا وقضمت من تراب سرقوسة. وكان) الغزو التجاري ملازما للغزو العسكري أو ربما كان يسبقه. وكان ضم قرطاج لصقلية

يبدو قريب المنال.

(وفي هذه المرة أيضا أنجبت سرقوسة قائدا اسمه هيرونHironسنة ٢٧٠ (أنقذها ( )

(بوضع حد للفوضى الداخلية، ومحق جيش المامرتيينLes Mamertinsوكان في إمكانه .)

ولا شك التوغل حتى مسينا إلا أن قائد الأسطول البونيقي سبقه بوضع حامية فيها

٢٦٩ (ولقد تمكن هيرون من كسب صداقة الشعب الروماني على الأقل. - ٢٦٨(